

وان في انتشار هذا النوع الجديد من المدارس في أمريكا وإنجلترا  
وفرنسا لبرهاناً ساطعاً على ماله من المزايا الجمّة والفوائد الجليلة  
ولقد قرأت منذ سنين أن لوردًا إنجليزيًا غنياً أراد أن ينشئ  
مدرسة من غير معلمين فأعد لها المكان وجعلها بالأثاث والأدوات  
ثم أغلق على التلاميذ الباب وتركهم وشأنهم لينظموا أمورهم ويتعلموا  
من تلقاء أنفسهم بالمخالطة والمراس غير أن تلك المدرسة قد فشلت ولم  
يك بالغريب فشلها فكل ما زاد على حده انقلب الى ضده اذ لا غنى  
للمتعلم عن المعلم والمسترشد عن المرشد وانما ضربتها مثلاً وان لم تنجح  
لما تدل عليه من انقراض هؤلاء في ضرورة اطلاق الحرية للمتعلمين  
والثقة بهم الى حد بعيد

اصمير فرمسي العمروسي

## السلطة والحرية

معناها : نشأتها . اثرها في التربية

زين للناس حب الحرية فها موابها وصبت نفوسهم اليها وجعلوها  
غرضهم في الحياة وتحيلوها الهمة السعادة فعبدوها وأنشدوا الاشعار  
في مدحها وضحوا بحياتهم في سبيلها فوقعوا في الأسر الذي منه  
يفرون ورضوا بالذل وهم صاغرون . تلك قوانين الاجتماع ومناهج  
العالم وسنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً  
فالحرية المطلقة سراب بقيعه يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاء لم

يجده شيئاً ولقد أخطأ الذين قالوا ان الغرض من التربية هو الحرية التامة  
ودعوا الناس الى ترك العنان للأطفال واعتبروا المدارس سجناً  
والسلطة رقاً واستعباداً وحرّموا ذلك على بنى الانسان زاعمين انه لا  
يتفق مع سنن النمو . وان طريق النشو الطبيعي هو الحرية لا غير  
لجأ قوم في الأزمنة المختلفة الى السلطان وزعموا أن الافراد  
عييديم وانهم لم يخلقوا الا لخدمتهم وتفننوا في الظلم « وأنقلوا ظهور  
الرعية بمطالبهم وأتوا على ما في أيديها من ثمرات أعمالها وانحصر سلطان  
القوى في اختطاف ما بيد الضعيف وفكر العاقل في الاحتيال لساب  
العاقل وتبع ذلك أن استولى على تلك الشعوب ضروب من الفقر  
والذل والاستكانة والخوف والاضطراب لفقد الأمن على الارواح  
والأموال وغمرت مشيئة الرؤساء ارادة من دونهم فماد هؤلاء  
كأشباح اللاعب يديرها من وراء حجاب ويظنها الناظر اليها من ذوى  
الألباب ففقد بذلك الاستقلال الشخصى وظن أفراد الرعايا أنهم لم  
يخلقوا الا لخدمة ساداتهم وتوفير لذاتهم كما هو الشأن فى العجموات  
مع من يقتنيها . . . وذلك كان شأنهم فى معاشهم - عبيد أذلاء  
حيارى فى جهالة عمياء »<sup>(١)</sup>

كره فريق كل سلطة لأنها تحول بين الانسان ورغبته ونقف  
دون آماله فى الحياة وتضع فى رجليه قيوداً لا يستطيع معها صبراً  
وفى رقبتة أغلالاً أشد عليه من هول الموت وتعتبره آلة صماء لا

(١) من كلام المرحوم الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده فى «رسالة التوحيد»

يعرف شيئاً عن اليأس والرجاء فنصبوا لها حرباً عواناً ونادوا انصارهم  
فشنوا غارة شعواء وحملوا عليها حملة رجل واحد فانهزمت امامهم  
جيوشها وتدهور عرشها وذهب حولها ولم يبق لها من صولة ترهب  
أو قوة تخشى أو أمر يطاع وأخذت بنى الإنسان نشوة النصر ودب  
ديبها في عروقهم فأساءوا استعمال الحرية الموهومة وقهر القوى الضعيف  
وسادت الفوضى وعم الفساد وانتشر الظلم ووقع الناس في بلاء لا نهاية  
له فسفكوا الدماء وقتلوا الأبرياء فلا هم بالذين يأخذون ولا بأواصر  
القرابة يتمسكون وذهبت الرحمة من القلوب واشتد الظلام وارتطم  
الانام بين عذاب الحرية وشقاء السلطة

وما تاريخ بنى الإنسان الا حرب مستمرة بين الحرية والسلطان  
ولكن الحرية المطلقة هي الفوضى بعينها والسلطان التام هو الاستعباد  
والأسر وكلاهما شر من صاحبه والحق أن الحرية التامة لا وجود لها  
وان السلطان المطلق لا معنى له وما الحرية وطاعة السلطة الا عنصران  
لا انفصام بينهما ولهذا الاجمال بيان لا يحسن الا به

يتغنى الناس ويرفعون عقيرتهم في الوقت الحاضر بما لهم من حرية  
الفكر ويرجعون على أسلافهم باللائمة لاستسلامهم لئمة قليلة من رجال  
الدين ونفر لا يتجاوز عد الأصابع من أهل العلم ولو أنهم أنصفوا  
لعلموا أنهم فروا من أسر الى أسر ومن سلطان الى سلطان ألت  
ترى أتباعهم لرجال العلم والمفكرين في الآراء والاعتقاد ألا تبصر  
تقليدكم لذوى الوجاهة وأرباب الافلام والخطباء وأهل السياسة

يقول الجغرافيون ان الارض تدور حول الشمس فنطأ على لهم الرؤوس  
ونشكر لهم جليل أعمالهم من غير أن نفكر في الأمر أو نعيره أية  
عناية ومع هذا نفتخر بالحربة ونبجل الأحرار ونقول أن الفكر حر  
كالهواء أسائك فقل لي بربك أين هذه الحرية وأنت ترى من القيود  
ما ترى وتعلم من القوانين المنطقية والحقائق العلمية ما تعلم فن منا  
يستطيع أن يعرف المثلث بأنه شكل رباعي أو يقول ان قوة الجاذبية  
لا وجود لها أو أن القارة الأمريكية من اختراع الوم وعمل الخيال  
لا بد أن يكون للحياة غرض شريف يسعى الإنسان للحصول

عليه ويوجه كل آماله اليه ويبذل جميع ما في وسعه لتحقيقه  
كل له غرض يسمى لي يدركه والحر يجعل ادراكه العلاء غرضاً  
ولهذا الغرض سلطان على النفوس وحكم فيها لأنه يحتم على المرء اتباع  
طرق خاصة والقيام بطائفة من الأعمال يفرضها عليه وهذه قد تكون  
سهلة أو صعبة على حسب شرف الغرض وعلوه ومقدار استعداد الشخص  
والأغراض تختلف في أطوار الحياة المتتابعة ومنها ما يعجز الإنسان  
دون ادراكه ولا يستطيع الوصول اليه في حياته وان المرء الذي لا  
غرض له في الحياة ولا عمل جدير بأن يضمحل وينعدم ويحل محله  
غيره فقد « قضت الحكمة الألهية بتنازع البقاء فالأمم بل فصائل  
الحيوان كلها تتنازع البقاء في هذا الوجود فعلي الإنسان أن يستعد  
ليأخذ مكانه في هذا العالم ويتبوا مركزه تحت الشمس وأي كائن لا  
يعمل لاستبقاء وجوده فانه يضمحل وينعدم ويحل مكانه لسكان آخر

أصلح منه للبقاء»<sup>(١)</sup>.

إن للنفس الإنسانية ميولاً متضاربة ولا شك أن ترك العنان لكل واحد منها يدعو إلى الفوضى ويقود إلى الهلاك والدمار ولهذا يجب التوفيق بينها وإرشادها إلى طريق الفضيلة وكبح جناح النفس وقمعها عن الشهوات الحيوانية وزجرها عما لا يتفق مع كرامة الإنسان ولا يليق بحرمته

الإنسان مدني بالطبع « ومحتاج في قوامه وفي أن يبلغ أفضل كالاته إلى أشياء كثيرة لا يمكن أن يقوم بها كلها هو وحده بل يحتاج إلى قوم يقوم له كل واحد منهم بشيء مما يحتاج إليه »<sup>(٢)</sup> فلا بدع إذا قلنا أن الفرد مدين للجماعة فلا بد أن يطيع قوانينها ويخضع لسلطانها ويحترم نظامها حتى يستمد منها كثيراً من المنافع المادية والأدبية وتصل نفسه إلى أفضل حالات السكّال ويتمتع بالحرية ويعيش في ظل النظام العام فيكون له ما لبقية الأفراد وعليه ما عليهم « وقد اختص الله سبحانه وتعالى الإنسان بالعقل الذي يرى به ارتباط الحقوق بالواجبات وأنه ليس لإنسان حق إلا وعليه واجب يقابله ويكافئه فحق الحياة يقابله واجب المحافظة عليها والعمل لرفقها وحق الحرية يقابله استعمالها فيما يعود على المجتمع بالخير والسعادة . . . ومن ظن أن له حقاً في التمتع بنعمة الحرية والاستقلال دون أن يقوم بما يجب عليه من العمل الطيب لأُمَّته

(١) صاحب السمر الأمير الجليل يوسف كمال في أهرام ١٦-١١-١٩٢٠

(٢) راجع الفارابي في كتابه آراء أهل المدينة الفاضلة

ولبلاده فقد ضل سواء السبيل وانحط من درجة العقل الأنساني الى  
درجة العدم<sup>(١)</sup> « ومن هنا نرى أن الخضوع طريق الاستقلال وأن  
الطاعة وسيلة الحرية

أين هذه الحرية المطلقة والأنسان أسير القوى الطبيعية تبخل عليه  
السحب بماؤها فيظلم وتجود بوابلها فيفرق وينقطع عنه الهواء فيموت  
وتقف الجبال في وجهه وبحول البحر دون أحبته تذيب دماغه حرارة  
الشمس ويفتك به البرد وتهب عليه ريح صرصرعائه وتنزل به الصواعق  
وتتوز عليه السماء قزمية بشررها وتحرقه بلهبها وتهلك حرته ونسله  
وتذهب بخيراتة وهو مع ذلك لا يستطيع لهذه الأشياء ردأ ولا يجادلنفسه  
واقيناً كأنى بك أيها القارىء تقول أن الأنسان سخر الطبيعة فشى على  
الماء وطار في الهواء وزحزح الجبال وأخرج من بطن الأرض ذهباً  
وفضة واستخدم السكرباء وانتفع بالبخار وذلل الحيوان ألا أدراك  
كيف فعل هذه الأشياء لم يفعلها إلا لأنه خضع للقوانين الطبيعية فن  
الخضوع استمد الحرية ومن الطاعة اكتسب السلطان

ليس من غرضنا أن نتكلم بالتفصيل فى نشأة الحرية والسلطان  
ونظن فى بيان الأسباب التى دعت الى التمسك بواحدة منهما وغلبتها  
على الأخرى فى الاطوار المتتابة من عصور التاريخ لأن ذلك يستغرق  
وقتاً لاغنى لنا عنه الآن على أن القارىء على بينة نامة من أن تاريخ

(١) الأمير الجليل صاحب السمو يوسف كمال فى أهرام ١٦ - ١١ - ١٩٢٠

التربية جزء من التاريخ العام وهو كما أشرنا من قبل حرب مستمرة بين عوامل القوة والفهر ومباىء العدل والحرية ولهذا يكفى أن نختصر الكلام ونجمل القول أجمالاً لا يضير الموضوع أن شاء الله

يقول الاستاذ «سندرسن» في كتابه «بجمل تاريخ العالم» ما معناه «ان الشعوب الشرقية لم توفق لأدراك أن بنى الإنسان أحرار - وينبغى أن يكونوا أحراراً ولكنها عرفت الحرية لواحد فقط - هو المستبد - فصارت ضحايا تقلباته وعبيداً لرغباته وأما اليونان - ومثلهم الرومان - فأدركوا ان الحرية حق لبنى الانسان ولكنهم عرفوها لأنفسهم وأنكروها على من سواهم وأباحوا لأنفسهم أن يتمتعوا بشمرة جهود عدد كبير استرقوه ولما جاءت الديانة المسيحية ساعدت الامم الالمانية على أدراك أن الحرية حق طبعى لكل فرد وقضت على الاسترقاق تدريجياً ونشرت ألوية الحرية فى الحكومات الحديثة متبعة فى ذلك مبدأ القومية» هذا قول يتفق فيه المؤرخون الذين تناولوا الكتابة فى تاريخ الحضارة الأنسانية ومن ذا الذى لا يوافقهم وهو يعلم أن حقوق الفرد فى فجر التاريخ كانت مندسجة فى حقوق الجماعة أيام كان النوع الأنسانى لا يزال فى مهده وكثيراً ما لحقها الأهمال وقضت عليها العوامل الاجتماعية ولعبت بها أهواء طبقة خاصة استأثرت بالسيادة وملكت أزيمة الأمور وبخلت بالحرية على الافراد وسخرتهم لارادتها وليس أدل على ذلك من نظام التعليم عند قدماء المصريين فقد كانت المنزلة الأولى والكلمة العليا للأمرء ورجال الدين الذين آثروا مصالحهم على مصالح

الشعب فلم يوجهوا اليه كبير عناية ولم يبألوا بما أوتى الأفراد من الاستعداد العقلي والمواهب الطبيعية وكذلك كان الحال في بلاد الشرق قاطبة في تلك العصور فان الثرية لم تشمل الا فئة قليلة من الأعيان أما الشعوب فقد كانت نسياً منسياً ولم ينفسح أمامها مجال النمو الفكري والنهوض الأدبي ولهذا لا نجد من بقايا تلك العصور سوى قليل من الاداب والعلوم

إذا انتقلنا الى بلاد الأغر يق وجدنا فرقاً كبيراً بين اسبرطة وأثينا - كانت المنافسة بينهما شديدة وكانت الأولى لا ترمى الا الى تكوين جيش مدرب على القتال شديد البأس جميل الصبر في المعامع يصد عنها الغارات اذا هاجها الأعداء ولذلك عمدت الى جعل التريبة جنديية محضة وجمانية خالصة وضحت بالحقوق والمواهب الشخصية في سبيل الواجبات الاجتماعية وقضت على النمو العقلي في سبيل النمو الجسمي

كان الغرض من التريبة « القوة والشجاعة وطاعة القوانين الاسبرطية » وضاعت حقوق الفرد واعتبر مجرد أداة لخدمة الحكومة التي تولت أمر الناشئ منذ ولادته فان كان خالياً من العاهات صالحاً للبقاء تركته تحت رعاية أم نشأت في التقاليد الاسبرطية وآثرت الرزانة والعبوسة والشدة على الشفقة واللين والبشاشة حتى يبلغ السابعة من عمره وبعد هذا ترعاه الحكومة مباشرة فتزرعه من حضن أمه وتدفع به الى بعض ضباطها وتسكنه في ثكنة مع غيره وتكثّر من تمرين جسمه بواسطة

الحركات المنظمة والالعاب الرياضية وغيرها من مظاهر الشجاعة والمخاطرة بالنفس وتضن عليه بغير الضرورى من القوت وتعوده اتباع قوانين لا تراها تتفق الآن مع شرف الإنسانية وتعدده لأن يكون من ذوى القوة والبطش ولا يزال هذا حاله حتى يبلغ الستين من العمر وعند ذلك يصير عضواً بمجلس الشيوخ

كانت أثينا في مبدأ الامر ترمى الى الغرض نفسه ولكنها اتخذت طريقاً أخرى ادعى للنجاح وأجدر بالاتباع وجملت الغاية المنشودة من التربية «الانسان الكامل» في الجسم والعقل معاً لما بينهما من متين الصلة ولذلك عنيت بالحقوق الشخصية واحترمت ارادة الأفراد وميولهم وأفسحت لهم مجال النبوغ ولم تهمل حقوق الجماعة من الدفاع عنها والسعى فيما يعود عليها بالفائدة المادية والأدبية وانك لا تجد في عصر من العصور ذلك الائتلاف والتناسب والتوفيق بين حقوق الفرد والجماعة الذى تجده في العصر الذهبى في تاريخ أثينا فلقد تمتع الناس بالعيش تحت ظلال الحرية وشغفوا بالجمال مهما تعددت مظاهره وتركوا الغنان خيالهم فهم في سماء الاختراع وتجلى له الحسن وظهرت آياته في كل شئ في السماء والماء والشمس والهواء وفي جميع القرى والمظاهر وضروب الوجدان والمواطف الإنسانية وجعلوا لها تماثيل تجلت فيها القدرة الصناعية وجمال الخيال وقوة الابتداع ثم خروا لأذقانهم سجداً يعبدون هذه الآلهة الموهومة وتفرقوا في دينهم شيعاً واختلط الأمر واشتبه على العامة طريق الحق وحصلت فوضى في الافكار وذهب

الناس مذاهب متعددة ولم يكن لهم من جامعة دينية أو رابطة قومية  
فأسرع اليهم الفساد ودبت الأمراض فيهم وانتشرت في مفاصلهم  
ومزقتهم كل ممزق وقتلت فيهم روح الحياة الاجتماعية وحاول المفكرون  
والفلاسفة أن يأخذوا بناصرتهم وان يعالجوا ذلك الداء الدفين فيهم  
ويصدوا تياره ولكن الداء كان قد تحكم وأخذ من النفوس مأخذه  
وجرى دم الفساد في عروق الأفراد ولذلك لم ينجح هؤلاء المصلحون  
في غرضهم ولم يصلوا الى مطامح أنظارتهم واستمر الحال على ذلك حتى  
وقعت الأغر يق في أيدي الرومان

الى هنا يقف القلم والموضوع بقية تأتي بعد وما توفيقى الا بالله ما

محمد على المجزوب

المدرسة الخديوية

## ما وراء الذرة

تقف النظرية الذرية عند افتراض أن المادة تتكون من أجسام  
صغيرة تسمى الجزيئات وهذه تتكون من أجسام أصغر منها تعرف  
بالذرات . وقد يتسرب الى الذهن ان هذه الذرات تتكون من ذهب  
ورصاص ونحاس واكسيجين الى غير ذلك من أسماء العناصر الموجودة  
المتداولة غير ان هذا لا يحدد طبيعة الذرة ولا يبين كنهها فهذه الاسماء  
موضوعة لمسمياتها لتدل على الاجسام المختلفة التي لم تتمكن حتى الآن  
من تحليلها تمييزاً لها عن غيرها .